

الصَّلَاحُ

عناصر الموضوع

١٥٠	مفهوم الصلاح
١٥١	الصلاح في الاستعمال القرآني
١٥٢	الأنفاذ ذات الصلة
١٥٤	أنواع الصلاح
١٥٨	صلاح الخلق
١٦٨	صلاح الأعمال
١٧٣	جزاء الصلاح في الدنيا والآخرة

مفهوم الصلاح

أولاً: المعنى اللغوي:

الصلاح لغة: ضد الفساد، يقال: أصلح الشيء بعد فساد، أي: أقامه، وأصلح الدابة، إذا أحسن إليها^(١). قال ابن فارس: «صلح» الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحاً^(٢).
والصلاح والفساد، يختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد، وأخرى بالسوء^(٣).

وقال ابن سيده: «الصلاح ضد الطلاح، صلح يصلح ويصلح صلاحاً وصلوحاً، فهو صالح وصليح، والجمع صلحاء، وصلوح، والصالح هو: الذي يؤدي إلى الله عز وجل ما افترض عليه، ويؤدي إلى الناس حقوقهم، أي القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد^(٤)، وقيل الصالح: المستقيم الحال في نفسه^(٥).
والمصلح هو: المقيم على الإيمان المؤدي فرائضه اعتقاداً وعملاً^(٦).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

ذكر المفسرون عدة تعريفات للصلاح منها ما يأتي:
أولاً: الصلاح عند الإمام أبي جعفر الطبري: لفظ عام يشمل الصلاح في استواء الخلق، والصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير^(٧).
ثانياً: عرف السمعاني الصلاح بقوله: «الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة»^(٨).
ثالثاً: عرفه الزمخشري بقوله: «هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة»^(٩).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥١٦/٢، تاج العروس، الزبيدي ٥٤٧/٦.

(٢) مقاييس اللغة ٣/٣٠٣.

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٢١٨.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٣/١٥٢.

(٥) انظر: الكليات، الكفوي ص ٥٦١.

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٣/١٥٢.

(٧) جامع البيان ١٣/٣٠٨.

(٨) تفسير السمعاني ٣/٤٧٨.

(٩) الكشف ١/٦٢.

الصلاح في الاستعمال القرآني

وردت مادة «صلح» في القرآن الكريم (١٨٠) مرة، يخص موضوع البحث منها (١٦٨) مرة^(١).

والصبيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٢	﴿جَنَّتٌ عَنْدَ يَدَيْنَاهُمَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]
اسم الفاعل	١٣٦	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]

وجاء الصلاح في الاستعمال القرآني على أربعة أوجه^(٢):

الأول: الإيمان: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] يعني: ومن آمن من آبائهم.

الثاني: حسن المنزلة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩] يعني: تحسن منزلتكم عند أبيكم.

الثالث: تسوية الخلق: ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمَا صَالِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠] يعني: سوي الخلق في صورة الإنس.

الرابع: الطاعة: ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] يعني: الطاعات التي أطاعوا الله عز وجل.

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم، باب الصاد، ص ٦٩٩-٧٠٣.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٢٩٩-٣٠٠، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص ٣٩٧-٣٩٨.

الألفاظ ذات الصلة

١ الإصلاح:

الإصلاح في اللغة :

خلاف الإفساد^(١).

الإصلاح اصطلاحاً:

التغيير إلى استقامة الحال^(٢).

وقيل: هو «إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد»^(٣).

الصلة بين الصلاح والإصلاح:

أن الصلاح قاصر على الشخص نفسه، والإصلاح متعدي إلى الغير، بحيث يشمل إصلاح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر، وإصلاح العبادات عن طريق إرشاد الخلق إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح ويقوم الإرادة ويفيد الفرد والمجموع منها، وإصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلهم وتنفيرهم من رذائلها في قصد واعتدال وعند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط^(٤).

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٤/ ١٤٢.

(٢) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم ص ٥١.

(٣) القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب ص ٢١٥.

(٤) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٣٥١.

الصلح لغة:

الصلح بالضم هو السلم-بكسر السين وفتحها- من تصالح القوم بينهما، والصلح أيضًا: اسم جماعة متصالحين، يقال: هم لنا صلحٌ: أي مصالحو^(١).

الصلح اصطلاحًا:

عبارة عن عقد وضع لرفع المنازعة بالتراضي^(٢).

الصلة بين الصلاح والصلح:

أن الصلح سبب للصلاح والاستقامة؛ لأن القيام بالصلح بين الناس من أخلاق الصالحين.

الفساد لغة هو:

خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة^(٣).

الفساد اصطلاحًا:

كلمة عامة تتناول كل ما هو خلاف الصلاح من المعاصي والهلاك قحط المطر وقلة النبات القتل السحر وغيرها^(٤).

الصلة بين الصلاح والفساد:

أن الفساد ضد الصلاح ونقيضه.

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٥٤٨/٦.

(٢) انظر: أنيس الفقهاء، القونوي ص ٩١.

(٣) انظر: المفردات، الراغب ص ٦٣٦، لسان العرب، ابن منظور ٣/٣٣٥.

(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام ص ١١٥.

أنواع الصلاح

الصلاح في القرآن الكريم يأتي على نوعين هما:

أولاً: صلاح الخلق:

وصلاح الخلق على قسمين:

١. الصلاح المادي.

وهو استواء الخلق والعقل كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِ مِنْكُمْ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠].

قال أبو جعفر الطبري: ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾، يقول: نادى آدم وحواء ربهما وقالوا يا ربنا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِ مِنْكُمْ﴾، واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحواء عليهما السلام أنه إن آتاها صالِحًا في حمل حواء: ﴿لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِ مِنْكُمْ﴾، فقال بعضهم: ذلك هو أن يكون الحمل غلامًا، وقال آخرون: بل هو أن يكون المولود بشرًا سويًا مثلهما، ولا يكون بهيمة، فقد أشفق أن لا يكون إنسانًا.

ثم قال أبو جعفر: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء، صالِحًا ليكونان لله من الشاكرين» (١).

وفي هذه الآية اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ﴾ هل يعود إلى آدم وحواء، أم يعود إلى غيرهما، على أقوال، والراجح أن الضمير يرجع إلى ذرية بني آدم، ممن جاء بعده جعلًا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد (٢).

قال الإمام الرازي: «قال الإمام القفال: إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانًا يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالِحًا سويًا لنكونن من الشاكرين لألائك ونعمائك. فلما آتاها الله ولدا صالِحًا سويًا، جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاها، لأنهم تارة

(١) جامع البيان ١٣/٣٠٦.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٣/٣١٤.

وعموم اللفظ يتناول جميع الإصلاح (٤).
قال الراغب الأصفهاني: «إصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح، قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْ بِكَلِمَتِكَ﴾ [محمد: ٢].

قال تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥] قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

أي: المفسد يضاد الله في فعله، فإنه يفسد والله تعالى يتحرى في جميع أفعاله الصلاح، فهو إذا لا يصلح عمله (٥).

٢. الصلاح المعنوي.

والمراد به الإيمان والاستقامة على الدين، وهذا الصلاح قد يكون في جماعات وأمم، وقد يكون في أفراد، على ما يأتي:

الأول: فمن الصلاح المعنوي الذي يكون في جماعات وأمم، قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَقَطَعْنَاهُ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونُ ذَلِكَ وَيَلُونَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام، ثم قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد (١).

ومن الصلاح المادي في القرآن ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [٩٠] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِالنَّخْلِ وَالزَّيْتِ وَنَدْعُوا تَحْتَهَا زُجُجًا﴾ [٩١] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ الْغُلَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي النَّارِ النَّارَ﴾ [٩٢] [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي: بعد عقرها، أو حسنة وكانت سيئة الخلق (٢).

«قال قتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين: إنها كانت عاقراً فجعلت ولوداً، وقال ابن عباس وعطاء: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان، فأصلحها الله تعالى فجعلها حسنة الخلق. قلت: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولوداً» (٣).

(١) مفاتيح الغيب ١٥/٤٢٧.

(٢) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٢/٤١٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

الْمُنْكَرِ وَتُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

فقد بين الله تعالى في الآية أن أهل الكتاب ليسوا سواء بل إن منهم أمة أهل الإيمان، ومنهم أمة أهل الكفر، فهم غير متساوين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد، والخير والشر^(٤).

الثاني: وقد يكون الصلاح المعنوي في أفراد وصفهم الله بذلك، قال تعالى في يحيى عليه السلام: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِخَبَرٍ مُّصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

والصالح الذي يؤدي لله ما افترض عليه، وإلى الناس حقوقهم^(٥).

وقال سبحانه في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٦] يعني أنه من العباد الصالحين مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الأنبياء وإنما ختم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعدما وصفه بالأوصاف العظيمة؛ لأن الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات؛ لأنه لا يسمى المرء صالحًا حتى يكون مواظبًا على النهج الأصح والطريق الأكمل في جميع أقواله وأفعاله، فلما وصفه

أي: فرقًا متباينين في أقطار الأرض فقل أرض لا يكون منهم فيها شرذمة، وهذا حالهم في كل مكان تحت الصغار والذلة سواء كان أهل تلك الأرض مسلمين أم كفارًا ومنهم منحطون عن الصالحين وهم الكفرة، وذلك إشارة إلى الصلاح أي ومنهم قوم دون أهل الصلاح؛ لأنه لا يعتدل التقسيم إلا على هذا التقدير^(١).

«يذكر تعالى أنه فرق بني إسرائيل في الأرض أمما أي طوائف وفرقا كما قال: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠٤].

منهم الصالحون ومنهم دون ذلك أي فيهم الصالح وغير ذلك^(٢)، وجعل كل فرقة منهم في قطر من أقطارها، بحث لا تخلو ناحية منها، منهم، تكملة لإدبارهم، حتى لا تكون لهم شوكة منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، أي من ينحط عن درجة الصلاح، لكفر أو فسق^(٣).

وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ آيَاتُ اللَّهِ وَآيَاتُ رَسُولِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣] وَاللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ٢٠٩/٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٤٨/٣.

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢١٤/٥.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١١٨/٧.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧٩/٤.

مخبرين عن أنفسهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي غير ذلك ﴿كُنَّا طَرِيقَ قَدَا﴾ أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد ﴿كُنَّا طَرِيقَ قَدَا﴾ أي منا المؤمن، ومنا الكافر^(٣).

والمعنى كما قال القرطبي: «أي لم يكن كل الجن كفاراً بل كانوا مختلفين: منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء»^(٤).

ثانياً: صلاح الأعمال:

إن صلاح الأعمال يكون في إخلاصها لله سبحانه وتعالى، فالعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله تعالى ويتنظم جميع أنواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما^(٥)، كما يكون العمل صالحاً، بالمتابعة على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد جمع الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَبْطَلُونَ نَقِيرًا﴾^(٦) وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(٧) [النساء: ١٢٤-١٢٥]^(٦).

الله تعالى بكونه وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين وأنه يكلم الناس في المهد وكهلاً أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات^(١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٨) [الأنعام: ٨٥].

والآيات الواردة في وصف الأنبياء بالصلاح كثيرة وما ذكرناه هو على سبيل المثال لا الحصر.

وقال تعالى في وصف الأفراد من غير النبيين: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٩) [الكهف: ٨٢].

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده ويحفظه في ذريته والدويرات حوله، فما يزالون في ستر من الله وعافية^(٢).

أما صلاح الجن فإنه من الصلاح المعنوي، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَا﴾^(١١) [الجن: ١١].

«يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٢٥٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥.

(٥) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي ٢/ ٢٩٠.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٣٧٣.

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ١/ ٢٤٦.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٧٥.

صلاح الخلق

أولاً: صلاح الأنبياء عليهم السلام:

وصف الله سبحانه وتعالى الأنبياء عليهم السلام بالصلاح، فقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكِيمٌ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال في يحيى عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

وقال سبحانه في زكريا وإلياس عليهم السلام مع السابقين: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

وقال في لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا مَا أَنَيْنَاهُ خُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤-٧٥].

وقال في إسماعيل عليه السلام: ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

الصَّالِحِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٩﴾ [الأنبياء: ٨٥-٨٦].

وقال في يونس عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ويمكن بيان الحكمة من وصفهم بالصلاح فيما يأتي:

أولاً: تعظيم صفة الصلاح، وتعظيم للموصوف بها، قال الزمخشري مبيناً الحكمة من وصف الأنبياء عليهم السلام بالصلاح: «واعلم أن الصفة قد تذكر للعظم في نفسها ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر، كما يكون تنويعها بقدر موصوفها. فالحاصل أنه كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة، قد يراد إعظام الصفة بعظم موصوفها، وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الأنبياء بالصلاح في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] وأمثاله، تنويعاً بمقدار الصلاح إذ جعل صفة الأنبياء، وبعثاً لأحاديث الناس على الدأب في تحصيل صفة»^(١).

وقال الرازي: «والمعنى وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله

(١) الكشاف ١/ ٦٣٦.

من المستعدين لقبول الفيض الإلهي بلا واسطة^(٢).

رابعاً: ووصف الأنبياء عليهم السلام بالصلاح يدل على أن الصلاح درجة عالية لا ينالها إلا أهل الاجتهاد^(٣).

وذكرها للتنويه بشأن الصلاح، فإن الأنبياء معدودون في زمرة أهله، وإلا فإن كل نبي لا بد أن يكون صالحاً، والنبوة أعظم أحوال الصلاح^(٤)، وفي ذلك إيماء إلى أن الصلاح هو أصل الخير ورفع الدرجات^(٥).

خامساً: أن الصلاح وصف للأنبياء عليهم السلام، ومن دونهم؛ فيوصف النبي بأنه صالح، ويوصف متبع الرسول بأنه صالح^(٦).

والصلاح على إطلاقه هو أكمل صفة وأتمها يمكن أن يظفر بها إنسان حتى الأنبياء فهي الكمال الإنساني في أعلى مراتبه وأشرف منازلها، ولهذا كان من دعوات الأنبياء عليهم السلام أن يكونوا من عباد الله الصالحين.

كما قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿نَبَسَ صَاحِبًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ

تعالى ورضيهم، واعلم أن الوصف بذلك غاية المدح ويدل عليه القرآن والمعقول، أما القرآن، فهو أن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال: بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذو الكفل وغيرهم: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦] وذكر حكاية عن سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُرْسَلِينَ﴾ [التحريم: ٤].

وأما المعقول فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون، فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات^(١).

ثانياً: خص الأنبياء بذكر الصلاح؛ لأنه لا يتخلل صلاحهم خلاف ذلك، وقال الزجاج: الصالح هو الذي يؤدي ما افترض عليه وإلى الناس حقوقهم.

ثالثاً: ومن الحكمة أيضاً أن الصلاح والإصلاح هو الغاية للنبوة؛ لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق، كما أن وصفهم بالصلاح فيه بيان بأنهم

(٢) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي ٧/ ٤٧٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ١٠/ ١٢٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ١٦٢.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢٩/ ١٠٧.

(٦) انظر: تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة ٢/ ٧١.

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

[النمل: ١٩].

وقال تعالى على لسان إبراهيم، وهو يطلب الولد الصالح: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

وقال سبحانه في وصف عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] ومعنى هذا أن الصلاح صفة ملازمة له، قبل النبوة ومع النبوة، فلو لم يكن نبيا من الأنبياء لكان صالحا من عباد الله الصالحين^(١).

أما الحكمة من طلب الذرية الصالحة: الحكمة من الدعاء بطلب الصالحين في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]؛ لأن الصلاح أفضل الصفات بدليل أن الخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

وطلبه للولد فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]؛ وذلك يدل على أن الصلاح أشرف مقامات العباد^(٢).

والمعنى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي بعض الصالحين يعينني على الدعوة

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٢/ ٤٤٠.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٣٤٥.

والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به^(٣)، ولقوله تعالى سأل إبراهيم رب هب لي من الصالحين [الصافات: ١٠٠].

وكقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

هكذا الواجب أن يطلب الولد، لا ما يطلبون من الاستئناس والاستنصار والاستعانة بأمر المعاش بهم^(٤).

لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحا فإن صلاح الأبناء قرة عين للأباء، ومن صلاحهم برهم بوالديهم^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلِيًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي: واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم، أو: اجعل ذريتي موقعا للصلاح دائما فيهم، إني تبت إليك من كل ذنب، وإني من المسلمين

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٩٩/٧.

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢/ ٣١٠.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ١٤٨.

ثانيًا: أسباب صلاح الخلق:

١. الاصطفاء الإلهي.

إن من أسباب صلاح الخلق الاصطفاء الإلهي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]

والاصطفاء حال يستحقه العبد بكونه صالحًا، والاصطفاء ضربان، أحدهما في الآخرة والآخر في الدنيا، وهو اختصاص الله بعض العبيد بولايته ونبوته لخصوصيته فيه (٤).

والاصطفاء: الاختيار بإخراج الصفوة من العباد والصالح من بني آدم: هو المؤدي حقوق الله عليه (٥).

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن أن من خالف إبراهيم فيما سن لمن بعده، فهو لله مخالف، وإعلام منه خلقه أن من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فهو لإبراهيم مخالف. وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه اصطفاه لخلته، وجعله للناس إمامًا، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة، ففي ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن أن من خالفه فهو لله عدو لمخالفته الإمام

الذين أخلصوا لك أنفسهم، وانقادوا إليك بكليتهم (١).

وفي الآية إشارة لرغبة المؤمن في أن يتصل عمله الصالح في ذريته، وأن يؤنس قلبه شعوره بأن في عقبه من يعبد الله ويطلب رضاه، والذرية الصالحة أمل العبد الصالح، وهي أثر عنده من الكنوز والذخائر، وأروح لقلبه من كل زينة الحياة. والدعاء يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله (٢).

ولأن في صلاح الولد الإحسان إلى الوالدين في المشاهدة والغيبة وبجميع وسائل الإحسان الذي غايته حصول النفع لهما، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَأَرْثَيَّانِ صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأن الله لما أمر بالدعاء للأبوين وعد بإجابته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) (٣).

(١) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٣٣٤/٥.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣٢٦٣/٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١ ٣/١٢٥٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٣١٧/١.

(٥) انظر: تفسير ابن فورك ١٧١/٢.

الذي نصبه الله لعباده^(١).

وبسبب الصلاح اصطفى الله تعالى من ذكرهم وآباءهم وإخوانهم وذريتهم في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَكَرَّمْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٧].

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمَثْوَى إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٥٨﴾ طَوَّلَا أَنْ تَذَرُكَ رِجْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَئِنْ بَالِغُ الْعَرَّةِ وَهُوَ مَكْذُومٌ ﴿٥٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

وهذا الاصطفاء هو بمشيئة الله تعالى واختياره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

والمعنى: أن الله يصطفى إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه وولايته من أحب، ويوفق للعمل بطاعته، واتباع ما بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم من الحق من أقبل إلى طاعته، وراجع التوبة من معاصيه^(٢).

قال الشنقيطي: «وقد دلت هذه الآية الكريمة على أنه تعالى يجتبي من خلقه من يشاء اجتباه، وقد بين في مواضع أخر بعض من شاء اجتباه من خلقه، فبين أن منهم المؤمنين من هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَرَكُمُوهَا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

وبين في موضع آخر أن منهم آدم، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

وذكر أن منهم إبراهيم في قوله: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانَا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اجتباه بعض الخلق بالتعيين^(٣).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٩١/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٥١٤/٢١.

(٣) أضواء البيان ٦٣/٧.

٢. المسارعة في الخيرات.

إن من أسباب صلاح الخلق المسارعة في الخيرات، فقد ذكر سبحانه أن من أسباب صلاح بعض أهل الكتاب وغيرهم هو المسارعة في الخيرات.

قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

قال ابن باديس: «ذكر الله تعالى في الآية
الكريمة الأعمال، ثم حكم لأهلها بأنهم من
الصالحين، فأفادنا أن الأعمال هي دلائل
الصلاح، وأن الصلاح لا يكون إلا بها، ولا
يستحقه إلا أهلها، ثم إن العباد يتفاوتون في
درجات الصلاح على حسب تفاوتهم في
الأعمال، ويكون لنا أن نقضي بتفاوتهم في
الظاهر بحسب ما نشاهد. ولكن ليس لنا
أن نقضي بين أهل الأعمال الصالحة في
تفاوتهم عند الله في الباطن؟ فندعي أن هذا
أعلى درجة في صلاحه عند الله تعالى من
هذا، لأن الأعمال قسمان: أعمال الجوارح،
وأعمال القلوب، وهذه أصل لأعمال
الجوارح»^(١).

والمسارعة في الخيرات سبب لصلاح
الذرية والأزواج، مادياً ومعنوياً، خلُقاً
وخلُقاً، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

وَوَهَبْنَا لَهُ إِخْوَانَ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا
خَشِيعَةً﴾ [الأنبياء: ٩٠].

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يروى أنها
كانت عقيماً فجعلها الله عز وجل ولوداً،
ويروى أنه كان في خلقها سوء فأصلح الله
ذلك وحسن خلقها^(٢).

٣. الدعاء.

إن من أسباب صلاح الخلق الدعاء،
فقد أرشد الله تعالى الإنسان إلى ذلك في
قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ
شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

ففي الآية إرشاد بالدعاء بصلاح الذرية،
وإرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة
والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها^(٣)
وروي: أن الآية نزلت في أبي بكر
الصديق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو،
وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو، قال علي
بن أبي طالب رضي الله عنه: الآية نزلت في

(٢) انظر: معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٣/ ٤٠٣.

(٣) أضواء البيان ٧/ ٢٥٩.

(١) انظر: تفسير ابن باديس ص ٧٥.

أبي بكر رضي الله عنه أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده، وكان أبو بكر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة، ونبي النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ودعا ربه فقال رب أوزعني، ألهمني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، بالهداية والإيمان، وأن أعمل صالحا ترضاه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد أبو بكر رضي الله عنه شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضا فقال: وأصلح لي في ذريتي، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبو قحافة النبي صلى الله عليه وسلم وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدرکوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: إني تبت إليك وإني من المسلمين^(١).

ولما كان الدعاء سببا في صلاح الخلق

كان من سنة الأنبياء عليهم السلام، فقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾^(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجَيِّنِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَنَّةَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

[الشعراء: ٧٨-٨٣].

والمعنى في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ أي كمالات العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورئاسة الخلق. وألحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لأنظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره^(٢).

وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿فَبَسَّ صَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٩) [النمل: ١٩]

فقد دعا سليمان ربه بأن يوفقه؛ لأن يعمل صالحا، وأن يدخله في عباده الصالحين في الجنة^(٣) مما يدل على أن الدعاء سبب في صلاح الخلق.

وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١٤٢/٤.

(٣) انظر: تفسير السمعاني ٨٧/٤.

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ١٢/٩، معالم التنزيل، البغوي ١٩٥/٤.

عنها الحسنات والفضائل بسهولة^(٤).

ثالثاً: مظاهر صلاح الخلق:

١. تحري أكل الطيبات.

إن من مظاهر صلاح الخلق تحري أكل الطيبات، قال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُونَ أَلَّا يَكُونُوا مِنَ الْمُطَّيِّبِينَ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

فقد أمر الله كل نبي في زمانه بأن يأكل من المال الحلال مالد وطاب، وأن يعمل صالح الأعمال، ليكون ذلك جزاء ما أنعم به عليه من النعم الظاهرة والباطنة.

وهذا الأمر، وإن كان موجهاً إلى الأنبياء، فإن أمهم تبع لهم، وكأنه يقول: أيها المسلمون في جميع الأقطار، كلوا من الطيبات أي من الحلال الصافي القوام، والحلال ما لا يعصى الله فيه، والصافي ما لا ينسى الله فيه، والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملا صالح الأعمال^(٥).

والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه. وقيل: هو الأكل المعتاد^(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف: ١٠١].

يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك^(١)، أو ألحقني بالصالحين قال: يعني أهل الجنة^(٢).

وفي الآية إشارة إلى أن الدعاء سبب في صلاح الخلق الذي هو سبب للحقوق الصالحين في الجنة.

٤. التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

إن من أسباب الصلاح التواصي بالحق بين الناس، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

والحق الذي ذكر الله بالتواصي به هو كتاب الله تعالى، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله^(٣).

فأما الصبر فلا أنه ملاك استقامة الأعمال ومصدرها فإذا تخلق به المؤمن صدرت

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣/١٢٨.

(٥) تفسير المراغي ١٨/٢٩.

وانظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/٨٩.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢١٥/٢.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/٢٧٨.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٤.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/٥٩٠.

٢. الصدقات.

إن من مظاهر الصلاح الصدقات بكل أنواعها، وذلك لارتباط العمل الصالح بها، سواء أكان ذلك في الصدقات الواجبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

فقد وعد سبحانه الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة بالأجر العظيم، والرحمة والرضوان، والأمن يوم الفزع الأكبر ذلك لأنهم استقاموا على الصراط المستقيم، وجاءتهم الموعدة فاستمعوا إليها، وامثلوا لها، وانتهوا عما نهوا عنه من منكرات كانوا يأتونها وهم جاهلون، و«إيتاء الزكاة» هنا له آثاره في التحريض على البذل والإنفاق على ذوي الحاجات، حتى لا تضطرهم الحاجة إلى التعامل بالربا^(٣).

أو كان ذلك في صدقات التطوع والتي منها الصدقات في الجهاد، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ

الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟^(١) وفي تقديم أكل الطيبات على العمل الصالح إيماء إلى أن العمل الصالح لا يتقبل إلا إذا سبق بأكل المال الحلال.

ثم علل هذا الأمر بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ أي إني بأعمالكم عليم، لا يخفى على شيء منها، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفيكم أجوركم، وثوابكم عليها، فخذوا في صالح الأعمال، واجتهدوا قدر طاقتكم فيها، شكراً لربكم على ما أنعم به عليكم، وفي هذا تحذير من مخالفتهم ما أمروا به، وإذا قيل للأنبياء ذلك فما أجدر أممهم أن تأخذ حذرهما، وترعوي عن غيها، وتخشى بأس الله وشديد عقابه^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم ٧٠٣/٢، ١٠١٥.

(٢) انظر: تفسير المراغي ٢٩/١٨.

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب ٣٥٩/٢.

كما بين تعالى أن البخل بالإنفاق من أعمال المنافقين، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧) [التوبة: ٧٥-٧٧].

أي: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله مالا وثروة ليشكرون له نعمته بالصدقة منها، وليعملن عمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به والإنفاق في سبيل الله: كإعداد العدة للجهاد وبذل المستطاع لخير الأمة وسعادتها بما يرقى بها في مختلف شئونها.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ أي فلما رزقهم وأعطاهم ما طلبوا بخلوا بما آتاهم وأمسكوه فلم يتصدقوا منه بشيء، وتولوا وانصرفوا عن الاستعانة به على الطاعة وإصلاح حالهم وحال أمتهم كما عاهدوا الله عليه، ولم يكن ذلك التولي عارضا طارئاً، بل تولوا بكل ما أوتوا من قوة بحافز نفسى ملك عليهم أمرهم ومنعهم عن التصديق، بحيث إذا ذكروا بما يجب عليهم لا يذكرون، وإذا دعوا لا يستجيبون^(٢).

[انظر: الإصلاح: الإصلاح في الأخلاق]

(٢) انظر: تفسير المراغي ١٠/١٦٨.

مَوْطِنًا يَبْتَغِطَ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَالُوفَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣١) [التوبة: ١٢٠-١٢١].

فقد بينت الآية ارتباط صدقات التطوع في الجهاد بالعمل الصالح، مما يدل على ان الصدقات من مظاهر الصلاح.

وقد بين الله تعالى أن غير المتصدقين من المؤمنين قد أخلوا بسبب رئيس من أسباب الصلاح حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) [المنافقون: ١٠].

فقد ذكر الله المؤمنين بما في الإنفاق من الخير بأن عليهم أن يكثروا منه ما داموا مقتدرين قبل الفوت، أي قبل تعذر الإنفاق والإتيان بالأعمال الصالحة، وذلك حين يحس المرء بحالة تؤذن بقرب الموت ويغلب على قواه فيسأل الله أن يؤخر موته ويشفيه ليأتي بكثير مما فرط فيه من الحسنات طمعا أن يستجاب له فإن كان في أجله تأخير فلعل الله أن يستجيب له، فإن لم يكن في الأجل تأخير أو لم يقدر الله له الاستجابة فإنه خير كثير^(١).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/٢٥٣.

صلاح الأعمال

أولاً: اقتران الإيمان بالعمل الصالح:

يقترن العمل الصالح بالإيمان في القرآن الكريم في خمس وسبعين مرة، مع الوعد والبشرى بأن من يعمل صالحاً وهو مؤمن، فلا يخاف ظملاً ولا هضمًا، ولا كفران لسعيه، له جزاء الحسنی، وحياة طيبة.

وقد أخبر الله تعالى عن الذين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات، وقليل ما هم، بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن لهم الدرجات العلى، وأن لهم أجرهم عند ربهم، وأن لهم أجر كريم، وعظيم وكبير، وغير ممنون، ولهم مغفرة ورزق كريم، وليستخلفنهم الله في الأرض، ويزيدهم من فضله، وسيجعل لهم الرحمن وداً، وهو خير البرية، وأصحاب الجنة، طوبى لهم وحسن مآب^(١).

ومن هذه الآيات التي اقترن فيها العمل الصالح بالإيمان قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

وغيرها من الآيات الكثيرة. وتظهر الحكمة من اقتران العمل الصالح بالإيمان فيما يأتي:

أولاً: أنه لا بد مع الإيمان من العمل الصالح؛ فمجرد الإيمان لا ينفع العبد حتى يقوم بواجبه، أي واجب الإيمان: وهو العمل الصالح.

ثانياً: أن العمل لا يفيد حتى يكون صالحاً؛ والصلاح أن ينبنى العمل على أمرين: الإخلاص لله عز وجل، وضده الشرك؛ والمتابعة، وضدها البدعة؛ فمن أخلص لله في شيء، ولكنه أتى بعمل مبتدع لم يقبل منه؛ ومن أتى بعمل مشروع لكن خلطه بالشرك لم يقبل منه؛ وأدلة هذا معروفة^(٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة ٣/ ٣٨١.

(١) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطئ ٢/ ٨٦.

سادسًا: أن العمل الصالح خارج عن مسمى الإيمان؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فلو دل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكرارًا، وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة^(٤)؛ لأن العمل الصالح معتبر مع الإيمان، فإن الإيمان المجرد مفيد للنجاة دون رفع الدرجات ولا يبلغ المؤمن الدرجة العالية إلا بإيمانه وعمله الصالح، وأما الكافر فهو في الدرجات بمجرد كفره فلو قال: والذين كفروا وعملوا السيئات في العذاب محضون، لكان العذاب لمن يصدر منه المجموع، فإن قيل فمن يؤمن ويعمل السيئات غير مذكور في القسمين، فنقول: له منزلة بين المنزلتين لا على ما يقوله المعتزلة، بل هو في الأول في العذاب ولكن ليس من المحضين دوام الحضور، وفي الآخرة هو في الرياض ولكنه ليس من المحبوسين غاية الحبوس كل ذلك بحكم الوعد^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَتَذَكَّرُ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩] دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية

ثالثًا: الإيمان أفرد وحده في آيات كثيرة، وقرن مع العمل الصالح في آيات كثيرة، فالآيات التي أفرد فيها يدخل فيه جميع عقائد الدين وشرائعه الظاهرة والباطنة، ولهذا يرتب الله عليه حصول الثواب، والنجاة من العقاب، ولولا دخول المذكورات ما حصلت آثاره، وهو عند السلف: قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح. والآيات التي قرن الإيمان فيها بالعمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

يفسر الإيمان فيها بما في القلوب من المعارف والتصديق، والاعتقاد والإنابة، والعمل الصالح بجميع الشرائع القولية والفعلية^(١).

رابعًا: أن عامة ذكر الإيمان في القرآن مقرونة بالأعمال الصالحة تنبيهًا إلى أن جملة الاعتقاد والمقال لا اعتداد بها ما لم يضامها الأعمال الصالحة، إذ الاعتقاد كالأس، والعمل كالبناء، ولا غناء في أس بلا بناء، كما لا ثبات لبناء بلا أس^(٢).

خامسًا: أن الأعمال الصالحة من تمام الإيمان، ومن لم يأت بذلك فإنه يقال له مؤمن على المجاز^(٣).

(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي ص ٤٨.

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٢٤٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ٤/ ٢٠٨.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٣/ ٥٨٤.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢٥/ ٨٥.

والتوفيق والنور يوم القيامة، هو إيمان مقيد، وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور^(١).

وبهذا يتبين أن الإيمان هو الاعتقاد فقط، أما الأعمال الصالحات والإيمان فكل منهما غير الآخر ولكن الجمع بينهما شرط لاستحقاق البشارة بالجنات^(٢).

ثانيًا: أسباب صلاح الأعمال:

إن أسباب العمل الصالح تتمثل في: الإخلاص لله تعالى ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الآيات التي جمعت بين ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(٣) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(٤) [النساء: ١٢٤-١٢٥].

فأليتان تبيان شرط العمل الصالح للذان لا يصح عمل عامل بدونهما، وهما الإخلاص والمتابعة فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، فمتى فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى

جمعهما كان عمله من أعمال المؤمنين ﴿الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٦]^(٥).

وكل عمل لا يقوم على أسباب العمل الصالح يكون يوم القيامة لا قيمة له ولا وزن، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٦) [الفرقان: ٢٣].

قال ابن كثير: «هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٧) قال مجاهد والثوري ﴿وَقَدِمْنَا﴾ أي: عمدنا، وكذا قال السدي، وبعضهم يقول: أتينا عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ قال: شعاع الشمس إذا دخل الكوة، وكذا روي من غير هذا الوجه

(١) انظر: الكشف، الزمخشري ٢ / ٣٣٠.

(٢) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي ١ / ٣٣٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢ / ٣٧٣.

ابتداء^(٢).

والدليل على وجوب المتابعة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن المنذر: «جعل الله اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم علما لحبه، وكذب من خالفها، ثم جعل على كل قول دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه، فإذا قال العبد قولاً حسناً، وعمل عملاً حسناً رفع الله قوله بعمله، وإذا قال العبد قولاً حسناً، وعمل عملاً حسناً رفع الله قوله بعمله، وإذا قال العبد قولاً حسناً، وعمل عملاً سيئاً رد الله القول على العمل، وذلك في كتابه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]»^(٣).

ثالثاً: تمني القيام بالعمل الصالح بعد الموت:

بين الله تعالى أن من لا يعمل صالحاً يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيعمل صالحاً، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَحَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

(٢) انظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الجربوع ٢/ ٥٤١.
(٣) تفسير ابن المنذر ١/ ١٦٩.

عن علي وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي والضحاك وغيرهم، وكذا قال الحسن البصري: هو الشعاع في كوة أحدهم، ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿هَبْكَ مَنثوراً﴾ قال: هو الماء المهرق. وقال أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﴿هَبْكَ مَنثوراً﴾ قال: الهباء رهج الدواب، وروي مثله عن ابن عباس أيضاً والضحاك، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَنَكانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

إن العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً عند الله إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط على وجه الإجمال، دل عليها الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: أن يكون العامل مؤمناً موحداً.

الشرط الثاني: الإخلاص وهو أن يقصد بعمله وجه الله عز وجل.

الشرط الثالث: المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو أن يعمل مهتدياً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم من دون غلو أو

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٩٣.

فهم يستغيثون ربهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، أي أخرجنا إلى الدنيا فنؤمّن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية، فوبخهم الله فقال: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرَكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾^(١).

قال الماوردي: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرَكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه البلوغ، قاله الحسن لأنه أول زمان التذكر.

الثاني: ثماني عشرة سنة.

الثالث: أربعون سنة، قاله ابن عباس ومسروق.

الرابع: ستون سنة، قاله علي بن أبي طالب مرفوعاً.

الخامس: سبعون سنة؛ لأنه آخر زمان التذكر، وما بعده هرم.

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: محمد صلى الله عليه وسلم، قاله ابن زيد.

الثاني: الشيب، حكاه الفراء والطبري.

الثالث: الحمى.

الرابع: موت الأهل والأقارب.

ويحتمل خامساً: أنه كمال العقل^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٣) [السجدة: ١٢].

«يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل، حقيرين ذليلين ناكسي رؤوسهم، أي من الحياء والخجل يقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا﴾ [مريم: ٣٨].

وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٤) [الملك: ١٠]، وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله»^(٥).

ولا يقتصر تمنّي من لا يعمل صالحاً على ذلك في الآخرة بل يتمنى قبل ذلك عند حضور الموت، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٦) [آل عمران: ١٥].

(٢) النكت والعيون ٤/ ٤٧٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٢٣.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/ ٢٧١.

جزاء الصلاح في الدنيا والآخرة

بين الله تعالى في كتابه الكريم الجزاء على الصلاح، وأنه يكون في الدنيا للصالحين، ويكون كذلك في الآخرة بسبب صلاحهم.

أولاً: جزاء الصلاح في الدنيا:

إن جزاء الصلاح في الدنيا يتمثل في وراثة الأرض، وصلاح الأولاد، وولاية الله تعالى، والنجاة من المجرمين، والاصطفاء الإلهي، والتوفيق للهداية للحق والصواب، والمودة والمحبة في قلوب الخلق، وفضل الله تعالى على الصالحين، والخروج من الظلمات إلى النور، والخيرية بين الخلق، وبيان ذلك فيما يأتي:

١. وراثة الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

يقول تعالى مخبراً عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته، ولهذا قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ [١١] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠] وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١] (١).

ولما تمنى أن يرجع ليعمل رد الله عليه ذلك بقوله: كلا إنها كلمة هو قائلها فجاء بكلمة الردع والزجر، والضمير في «إنها» يرجع إلى قوله: رب ارجعون أي: إن هذه الكلمة هو قائلها لا محالة، وليس الأمر على ما يظنه من أنه يجاب إلى الرجوع إلى الدنيا، أو المعنى: أنه أجيب إلى ذلك لما حصل منه الوفاء، كما في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وقيل: إن الضمير في ﴿قَائِلُهَا﴾ يرجع إلى الله، أي: لا خلف في خبره (٢).

(١) المصدر السابق ٤٢٩/٥.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٥٨٩/٣.

خَوَفَهُمْ أَنَّا ﴿[النور: ٥٥].

وأخبر تعالى أن هذا مسطور في الكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^(١).

وقد اختلف المفسرون في معنى الأرض المذكورة في الآية، على أقوال، والراجح من هذه الأقوال: إن الأرض هي الدنيا^(٢)، ورجح هذا القول الإمام الزجاج^(٣)؛ وذلك لما مضى في السورة ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأممهم، وختم الحديث عنهم بذكر الساعة وقربها ومقدماتها، وأحوال الخلق يوم القيامة جاء في هذه الآية ذكر الأمة التي جاءت بعد تلك الأمم كلها، وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت هذه الآية في أمة محمد؛ لأنه لما تكلم على الأمم الخالية لم يسبق الكلام إلا عليها؛ فخطبت بما قضاه الله وكتبه من إرث الصالحين الأرض.

ولأن المخاطبين بهذه الآية المكية هم المؤمنون بالله، الموحدون له، المتبعون لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم

المصدق لجميع الرسل صلوات الله عليهم، وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم الصالحون الموجودون يوم ذاك على وجه الأرض، فكانت الآية إعلاما بما كتبه الله لهم، ووعدا بإرثهم الأرض^(٤).

٢. صلاح الأولاد.

ذكر الله سبحانه وتعالى أن من جزاء الصلاح في الدنيا صلاح الأولاد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٥) [الكهف: ٨٢].

فقد أخرج ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال: حفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح^(٦).

وعن ابن عباس أيضا قال: إن الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده ويحفظه في ذريته والدويرات حوله، فما يزالون في ستر من الله وعافية^(٦)، وبهذه الروايات يتبين أن صلاح الأولاد ثمرة وجزاء لصلاح الآباء في الدنيا.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٧/٥.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٩٢/٢٢.

وانظر: جامع البيان، الطبري ٥٥٠/١٨،

النكت والعيون، الماوردي ٤٧٥/٣، الجامع

لأحكام القرآن، القرطبي ٣٤٩/١١.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤٠٧/٣.

(٤) انظر: تفسير ابن باديس ص ٣٤٥.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٩١/١٨، تفسير

ابن أبي حاتم ٢٣٧٥/٧.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٧٥/٧.

٣. ولاية الله تعالى.

ثبت ولاية الله تعالى للصالحين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

والمعنى: أن الله تعالى هو حسي وكافي، وهو نصيري وعليه متكلي وإليه اللجأ، وهو ولي في الدنيا والآخرة وهو ولي كل صالح بعدي، وهذا كما قال هود عليه السلام لما قال له قومه: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وكقول الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَمَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٨].

وكقوله لأبيه وقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال الخازن: «إن ولي الله يعني: أن

الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله الذي نزل الكتاب، يعني القرآن، والمعنى كما أيدني بإنزال القرآن علي، كذلك يتولى حفظي وينصرني، وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه، فلا تضربهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر، قال ابن عباس: يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئاً ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لأن من تولاه الله يحفظه فلا يضره شيء» (٢).

وقال الشعراوي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ «أي أنه لا يجعل الولاية خصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم، بل يقول لكل واحد من أتباعه: كن صالحاً في أي وقت، أمام أي عدو، ستجد الله وهو يتولاك بالنصر، وساعة يعمم الله الحكم؛ فهو ينشر الطمأنينة الإيمانية في قلوب أتباعه صلى الله عليه وسلم، وكل من يحمل من أمر دعوته صلى الله عليه وسلم شيئاً ما سوف يكون له هذا التأيد، وهو سبحانه الذي جعل رسوله مبلغاً عنه هذا المنهج، وهو سبحانه يتولى الصالحين لعمارة الكون؛ لأن الله قد جعل الإنسان خليفة ليصلح في الكون، وأول مراتب الإصلاح أن يبقى الصالح على صلاحه، أو أن يزيده

(٢) انظر: لباب التأويل ٢/ ٢٨٣.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٧٩.

صلاحاً إن أمكن»^(١).

٤. النجاة من المجرمين.

إن الله تعالى ينجي الصالحين من المجرمين ومكرهم وتأميرهم كما نجى الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِن كُنتُم فَاعِلِينَ﴾ (٢٦) ﴿لَنَّا يَنْتَازُ كُوفِي بَرَا وَسَلَّمَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢٧) ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٢٨) ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (٣٠).

[الأنبياء: ٦٨-٧٢].

والمعنى: ونجينا إبراهيم ولوطاً من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض الشام، فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشام^(٢).

وكما نجى الله تعالى نبيه لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْكَتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (٣١) ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٢).

[الأنبياء: ٧٤-٧٥].

والمعنى: ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني: قرية سدوم وأراد أهلها

وأراد بالخبائث إتيان الذكور في أديبارهم، وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخرى كانوا يعلمونها من المنكرات إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا قيل: أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب إنه من الصالحين أي الأنبياء^(٣).

كما نجى الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وبني إسرائيل من فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ﴾ (٨٠) ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (٨١) ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لَّن تَابٍ وَمَأْمَنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٨٢).

[طه: ٨٠-٨٢].

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٨٣) ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتَمٍ مِّمَّقَتٍ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْ فِي قَوْمِي وَأَصْلِح وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨٤).

[الأعراف: ١٤١-١٤٢].

فهذه الآيات الكريمة وغيرها مما هي في معناها فيها تذكير لبنى إسرائيل بنعمة من أجل نعم الله عليهم، حيث أنجاهم سبحانه ممن أراد لهم سوء، وعمل على قتلهم

(١) انظر: تفسير الشعراوي ٨/ ٤٥٣٠.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٤٦٨.

(٣) انظر: لباب التأويل، المخازن ٣/ ٢٣٢.

على أنفسنا ﴿نُجِّى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا من دفعه عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]

فإنه -بحسب ما مع العبد من الإيمان- تحصل له النجاة من المكارة^(٣).

٥. الاصطفاء الإلهي.

إن الاصطفاء حال يستحقه العبد بكونه صالحاً، والاصطفاء ضربان، أحدهما في الآخرة والآخر في الدنيا، وهو اختصاص الله بعض العبيد بولايته ونبوته لخصوصيته فيه^(٤)، والاصطفاء: الاختيار بإخراج الصفة من العباد والصالح من بني آدم: هو المؤدي حقوق الله عليه^(٥).

وبسبب الصلاح اصطفى الله تعالى من ذكرهم وآباءهم وإخوانهم وذريتهم في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٨٤) وَكَرِّمًا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۚ كُلًّا مِّن الصَّالِحِينَ^(٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمَارًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ^(٨٦) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٨٧) [الأنعام: ٨٤-٨٧].

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٧٥.

(٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٣١٧.

(٥) انظر: تفسير ابن فورك ٢/ ١٧١.

وإبادتهم واستئصال شأفتهم، وفي ذلك ما يدعوهم إلى الاجتهاد في شكر الله عز وجل لو كانوا ممن يحسنون شكر النعم^(١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم، ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم نتجى هناك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدق به واتبعه على دينه، كما فعلنا قبل ذلك برسولنا الذين أهلكنا أممهم، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على أممهم ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾»، يقول: كما فعلنا بالماضين من رسولنا فأنجيناهم والمؤمنين معها وأهلكنا أممها، كذلك نفعل بك، يا محمد، وبالمؤمنين، فننجيك وننجي المؤمنين بك، حقا علينا غير شك^(٢).

والنجاة للصالحين تكون من أعدائهم، ومن مكارة الدنيا والآخرة، وشدائدهما ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أوجبناه

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٢١٦.

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
الْمُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ٥٨ تُولَا أَنْ تَذَكَّرَهُ فَرَمَةٌ مِّنْ
رَّبِّهِ لَنُبْذِلَ بِالْعَرَّةِ وَهُوَ مَكْذُومٌ ٥٩ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ ٦٠﴾ [القلم: ٥٨-٥٠].

وهذا الاصطفاء هو بمشيئة الله تعالى
واختياره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾
[الشورى: ١٣].

والمعنى: أن الله يصطفي إليه من يشاء
من خلقه، ويختار لنفسه وولايته من أحب،
ويوفق للعمل بطاعته، واتباع ما بعث به نبيه
عليه صلى الله عليه وسلم من الحق من أقبل
إلى طاعته، وراجع التوبة من معاصيه^(١).

٦. التوفيق للهداية للحق والصواب.
من الجزاء على الصلاح في الدنيا التوفيق
للهداية للحق والصواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ
رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١﴾ [يونس: ٩].

والهداية هي: الإرشاد على المقصد
النافع والدلالة عليه، فمعنى: ﴿يَهْدِيهِمْ
رَبُّهُمْ﴾ يرشدهم إلى ما فيه خيرهم،
والمقصود الإرشاد التكويني، أي يخلق في
نفوسهم المعرفة بالأعمال النافعة وتسهيل
الإكثار

منها، وأما الإرشاد الذي هو الدلالة

بالقول والتعليم فالله يخاطب به المؤمنين
والكافرين.

وفي تكوين هدايتهم إلى الخيرات بجعل
الله تعالى، بأن يجعل الله للإيمان نوراً
يوضع في عقل المؤمن، ولذلك النور أشعة
نورانية تتصل بين نفس المؤمن وبين عوالم
القدس فتكون سبباً مغناطيسياً لانفعال
النفس بالتوجه إلى الخير والكمال لا يزال
يزداد يوماً فيوماً، ولذلك يقترب من الإدراك
الصحيح المحفوظ من الضلال بمقدار
مراتب الإيمان والعمل الصالح^(٢).

والهداية هي التسديد والمعنى: يسددهم
بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق
السديد المؤدي إلى الثواب ولذا جعل
﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ بيانا له وتفسيرا
إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها،
أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق
الجنة^(٣).

٧. المودة والمحبة في قلوب
الخلق.

ومن الجزاء على الصلاح في الدنيا
أن الله تعالى يجعل المودة والمحبة في
قلوب الخلق للصالحين بسبب صلاحهم،
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ١١﴾

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١/١٠١.

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٨/٢.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢١/٥١٤.

[مريم: ٩٦].

ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض^(٤).

ومودة الناس تكسب بأسباب متعارفة بينهم منها القرابة، ومنها الصداقة، ومنها صنائع المعروف، ومآثر الإحسان، أما هذا الود الذي وعد الله به الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فسببه جعل من الله له في قلوب العباد لهم، دون تردد منهم، ولا توقف على تلك الأسباب، فيودهم من لم يكن بينه وبينهم علاقة نسب أو صداقة، ولا وصل إليه منهم معروف، فهذا نوع من الود خاص يكرمهم الله به، وينعم عليهم به الرحمن من جملة نعمه التي يحدثها ويجدها لهم، زيادة على ما يقتضيه الإيمان والعمل الصالح وهما سبب لإكرامات كثيرة من الله تعالى، هذا الجعل للود منها^(٥).

٨. فضل الله.

إن من جزاء العمل الصالح في الدنيا أن الله تعالى يفضل على الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنعمه ورزقه زيادة على ما

أي: حباً يحبهم ويحبهم إلى عباده المؤمنين من أهل السموات والأرضين^(١).

يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، - وهي الأعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة-، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه^(٢)، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)^(٣).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحببه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٢٣٣/٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣٦/٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم ٣٢٠٩، ١١١/٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه لعباده، رقم ٢٦٣٧، ٤/٢٠٣٠.

(٥) انظر: تفسير ابن باديس ص ٣٤٠.

يطلبوه منه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَبَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٦].

قال الإمام ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَبَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه، بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي ضمن جل ثناؤه أن يزيد هموه، هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم، فشفعوا فيهم^(١).

٩. الخروج من الظلمات إلى النور.
إن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من الظلمات إلى النور، يعني من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمة الباطل إلى ضياء الحق، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الباطل إلى الحق، وما أشبه ذلك، قال تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [١١].

[الطلاق: ١١] (٢).

قال ابن كثير: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾ أي في حال كونها بينة واضحة جلية ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور، كقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

أي: من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورًا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحًا لما يحصل به من حياة القلوب، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] (٣).

١٠. الخيرية بين الخلق.

إن الخيرية بين الخلق جزاء للعمل الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

يعني أنهم بسبب أعمالهم الصالحة

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٦٨/٢٣، النكت والعيون ٣٦/٦، تفسير السمعاني ٤٦٨/٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم ١٧٧/٨.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٥١٤/٢١.

١. مغفرة الذنوب وتكفير السيئات.
ذكر الله تعالى في آيات كثيرات أن
جزاء العمل الصالح في الآخرة هو مغفرة
الذنوب وتكفير السيئات. منها قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا
نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَ لَفَقَارٍ لَّن تَابٍ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].
وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧].

وغيرها من الآيات.
والمراد بالغفران والمغفرة من الله هو
أن يصون العبد من أن يمسه العذاب^(٣)،
والمراد بتكفير السيئات: سترها بالإيمان
والعمل الصالح، والمراد إزالتها ولم
يؤاخذهم بها^(٤).

واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم^(١).
والمعنى: «إن الذين آمنوا أي بالله
ورسوله محمد، صلى الله عليه وسلم
وعملوا الصالحات، أي من بذل النفس
في سبيل الجهاد للحق، وبذل المال في
أعمال البر، مع القيام بفرائض العبادات،
والإخلاص في سائر ضروب المعاملات؛
لأن إذعانهم الصحيح، ووجدانهم للذة
معرفة الحق، ملكت الحق قيادهم، فعملوا
الأعمال الصالحة، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ حَبِ
رُ النَّبِيِّ﴾ أي أفضل الخليقة؛ لأنهم بمتابعة
الحق عند معرفته بالدليل القائم عليه، قد
حققوا لأنفسهم معنى الإنسانية التي شرفهم
الله بها، وبالعمل الصالح، قد حفظوا نظام
الفضيلة الذي جعله الله قوام الوجود
الإنساني، وهدوا غيرهم بحسن الأسوة إلى
مثل ما هدوا إليه من الخير والسعادة فمن
يكون أفضل منهم؟»^(٢).

ثانياً: جزاء الصلاح في الآخرة:

يتمثل جزاء الصلاح في الآخرة في مغفرة
الذنوب، وتكفير السيئات، والجنة ونعيمها،
والدرجات العليا، ومرافقة الذين أنعم الله
عليهم، ورضا الله وروية وجهه الكريم،
وبيان ذلك في النقاط الآتية:

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ٤/ ٤٥٦.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٩/ ٥٢٤.

(٣) انظر: المفردات، الراغب ص ٦٠٩.

(٤) انظر: روح المعاني، الألويسي ١٣/ ١٩٥.

٢. الجنة و نعيمها.

بين الله تعالى في آيات كثيرات أنه سيدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة وأن لهم فيها نعيم دائم وأزواج مطهرة وظلال وارف، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

والجنات، يعني: بساتين تجري من تحتها الأنهار، وهم خالدون، أي باقون فيها أبدًا بغير نهاية ولا انقطاع، دائما ذلك لهم فيها أبدًا، ولهم في تلك الجنات أزواج مطهرة، يعني: بريئات من الأدناس والريب والحيف والغائط والبول والجل والبصاق، وسائر ما يكون في نساء أهل الدنيا ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي وندخلهم ظلاً كنيئاً، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَقَدْ مَدَّوْرُكُمْ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وكما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، وارقوا إن شئتم ﴿وَقَدْ مَدَّوْرُكُمْ﴾ [الواقعة: ٣٠] (١) (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

والأساور جمع أسورة، وأسورة واحدها سوار، وفيه ثلاث لغات: ضم السين وكسرهما وإسوار، قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة، وليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفي فاطر: ﴿يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣].

وقال في سورة الإنسان: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) (٣) (٤).

وفي الجملة إن الله تعالى يهب للذين آمنوا وعملوا الصالحات نعمًا كثيرة، وتنعيمًا عظيمًا في الجنة، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم ٢٥٠، ٢١٩/١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٨/١٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٥٢، ٤/١١٩.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٨/٤٨٨.

الخامس: أنه البستان الذي فيه الأعتاب،
قاله كعب^(٣).

قال قتادة: الفردوس ربوة الجنة
وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها. وقال
أبو أمامة الباهلي: الفردوس سرّة الجنة.
وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من
جنة الفردوس، فيها الأمرون بالمعروف،
والناهون عن المنكر^(٤).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة
رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: (من آمن بالله وبرسوله،
وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقا على
الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو
جلس في أرضه التي ولد فيها)، فقالوا: يا
رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: (إن في
الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين
السماء والأرض، فإذا سألتهم الله، فاسألوه
الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة -
أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفتجر أنهار
الجنة^(٥)).

والدرجات العليا هي الغرفات المذكورة

(٣) النكت والعيون ٣/ ٣٤٨.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي
٦٨/ ١١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد
والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل
الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي، رقم
٢٧٩٠، ١٦/ ٤.

جَنَّاتُ النَّعِيمِ [الحج: ٥٦]: والنعيم: النعمة
الكثيرة، وتنعم: تناول ما فيه النعمة وطيب
العيش، يقال: نعمه تنعيما فتنعم. أي: جعله
في نعمة. أي: لين عيش وخصب^(١).
٣. الدرجات العليا.

بين الله تعالى أن الدرجات العلى هي
جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، قال
تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
قُلُوبُهُمْ لَمْ يَلْحَقْهُمُ اللَّذَذُ الْعَلَى ۖ﴾ [طه: ٧٥].
أي: الجنة ذات الدرجات العليات،
والغرف الآمات، والمساكن الطيبات^(٢).

وهذه الدرجات العليا هي جنات
الفردوس على أحد المعاني الواردة في قوله
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ
جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال الإمام الماوردي: «في **الْفِرْدَوْسِ**
خمسة أقاويل:

أحدها: أن الفردوس وسط الجنة وأطيب
موضع فيها، قاله قتادة.
الثاني: أنه أعلى الجنة وأحسنها، رواه
ضمرة مرفوعاً.

الثالث: أنه البستان بالرومية، قاله
مجاهد.

الرابع: أنه البستان الذي جمع محاسن
كل بستان، قاله الزجاج.

(١) انظر: المفردات، الراغب ص ٨١٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٢٦٩.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْغُصْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨].

والغرفة في اللغة: العلية وكل بناء عال فهو غرفة والمراد به الدرجات العالية^(١).

٤. مرافقة الذين أنعم الله عليهم.

أخبر الله تعالى أن مرافقة الذين أنعم الله عليهم من جزاء الصلاح في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

والمعنى: ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضى بحكمهما، والانتهاى إلى أمرهما، والانزجار عما نهى عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة والصديقين وهم جمع صديق، والصالحين، وهم جمع صالح، وهو كل من صلحت سريرته وعلايته، وحسن، هؤلاء الذين

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/ ٤٨٧.

نعتهم ووصفهم، رفقاء في الجنة^(٢).

والآية تدل على أن مرتبة الصلاح مرتبة عظيمة جامعة لجميع المراتب؛ لأن الصالح إذا ترقى من مقامه يسمى شهيدا ثم صديقا ثم نبيا^(٣).

٥. رضا الله ورؤية وجهه الكريم.

ثبت رضا الله تعالى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ، على طاعتهم ربهم في الدنيا، وجزاهم عليها من الكرامة^(٤).

وهذا الرضا هو بسبب عملهم الصالح جزاء لهم قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٨].

ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٨/ ٥٣٠.

(٣) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي ٤/ ٣٢٥.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/ ٥٤٢.

والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف»^(٢).

والزيادة هي النظر إلى وجه الله في قول أبي بكر الصديق، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة، وابن عباس رضي الله عنهم، وقتادة، والضحاك، ونحو ذلك فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه صهيب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: (تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجننا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمَ﴾ [يونس: ٢٦]»^(٣) (٤).

موضوعات ذات صلة:

الإصلاح، التغيير، الدعوة، الدفع، الفساد، النصيحة

النعيم المقيم، ورضوا عنه فيما منحهم من الفضل العميم^(١).

أما النظر إلى وجهه الكريم فيدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمَ وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

قال الإمام ابن كثير: «يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح: الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله: ﴿وَزِيَادَةً﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحدود والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضل ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٤٣٩

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٢٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم ١٨١، ١/ ١٦٣.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٥٤٤.